

ازدهار الوجدان في علم النفس بعد تولي سنواته العجاف

أ.د. محمد مقداد

جامعة البحرين

mokdad@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/05/13 تاريخ القبول: 2018/07/12

الملخص

اختلف الباحثون حول مكونات الشخصية الإنسانية، لكنهم اتفقوا حول أربعة منها هي البدني والروحي والوجداني والعقلي لتشكل الأساس الذي أخذ به علم النفس في القرن 19 وما قبله في الدراسات والأبحاث العلمية وفي الممارسات الإكلينيكية. ومع ظهور المدرسة السلوكية في بدايات القرن 20 تغيرت النظرة إلى مكونات الشخصية الإنسانية، حين نشر واطسن (John Watson) (1878-1958) في العام 1913 ورقة بحث بعنوان (Psychology as the Behaviorist)¹ بين فيها أن علم النفس يجب أن يدرس السلوك دون العقل. فكانت بداية لسيطرة المدرسة السلوكية لمدة لا تقل عن خمسين سنة، متجاهلة العمليات العقلية والوجدانية والروحية بحجة أنها لا يمكن أن تقاس أو تلاحظ، أو تجرى عليها التجارب. ولم توافق على فكرة الاختيار، مضخمة تأثير البيئة والعوامل المحيطة. ساعية إلى تفسير سلوك الإنسان من خلال تصرفات الحيوان.

غير أن علماء النفس بعد الحرب العالمية الثانية أدركوا أن المدرسة السلوكية غير قادرة على إعطاء صورة واقعية للإنسان. فبدأ التفكير في تصحيح الوضع، وإعادة جوانب الشخصية الإنسانية الأخرى إلى الواقع. وظهرت المدرسة المعرفية والإنسانية والدينية لترد للإنسان العقل والوجدان والروح، وفي ثمانينيات القرن المنصرم دخل الوجدان إلى ساحة علم النفس الحديث من بابه الواسع وعمت دراسات الوجدان. وهي المسيرة التي تحاول الورقة تسليط الضوء عليها.

¹Watson, J. B. (1913). Psychology as the behaviorist views it. *Psychological Review*, 20, pp. 158-177.

Abstract:

There have been common divergent views among researchers about the components of human personality; however, they agreed on four of them; namely, physical, spiritual, emotional, and mental, which form the basis of modern psychology in both 19th and earlier centuries in scientific studies, researches, and clinical practices. With the advent of the Behavioral School in the early 20th century, the perception of human personality's components have changed. When John Watson (1878-1958) published a research paper entitled *Psychology as the Behaviorist Views it* in 1913, in which he claimed that psychology should study the behavior without taking into account the mind. Therefore, it was the beginning of the Behaviorist's School's dominance for at least 50 years; ignoring the mental, emotional, and spiritual processes on the grounds that they can not be measured, observed, or tested. Also, it did not regard the idea of choice and the impact of environment and surrounding factors; seeking to explain human behavior through animal behavioral practices.

However, following WWII, psychologists realized that the Behaviorist School was unable to give a realistic picture of man, and; therefore, they started to think about correcting the situation and restoring the other aspects of human personality to reality. Accordingly, the Knowledge, Human, and Religious School emerged which placed the mind and spirit as important human elements. During the eighties of the last century, emotion entered the arena of modern psychology. Thus, the present paper intends to highlight its evolution.

مقدمة:

يتكون البناء الوظيفي للشخصية الإنسانية من مكونات متكاملة ترتبط ارتباطاً وظيفياً قوياً في حالة السواء. وإذا حدث اضطراب أو نقص أو شذوذ في أي مكون منها أو في العلاقة بينها، كانت النتيجة الاضطراب في البناء العام والأداء الوظيفي للشخصية. أما أهم المكونات، فهي:

● - المكون الجسدي (Body Component).

● - المكون العقلي المعرفي (Cognition Component).

● - المكون الوجداني (Affect Component).

• - المكون الروحي (Soul Component) (Eysenck, 1947; Huitt, 2012).

ومهما كان العمل أو السلوك الذي يقوم به الفرد، فإن تأثير هذه المكونات سيكون واضحاً، ولو أن نسبة كل واحد منها فيه قد تفاوتت. وعلى سبيل المثال، إذا قام فرد إلى صلاة فرض ما، فإن المكونات سالفة الذكر كلها تتجلى بوضوح فيه، ولو أن نسبة المكون الروحي قد تكون عالية جداً أعلى من نسبة باقي المكونات الأخرى. الوجدان مصطلح من مصطلحات علم النفس وغالبا ما يعني أو يشير إلى المشاعر التي قد تكون قوية (العاطفة)، أو متوسطة (مزاجا). والعاطفة هي المشاعر القوية التي يكون موضوعها محددًا. أما المزاج فهو المشاعر التي تكون أقل قوة من مشاعر العاطفة، ويكون موضوعها غير محدد (Batson, et al. 1992). يصنف الوجدان تصنيفات عديدة بناء على الأساس الذي يتخذ في التصنيف، وعليه، فقد نتكلم عن:

- وجدان موجب ووجدان سالب .
 - وجدان قوي ووجدان ضعيف.
 - وجدان مستمر ووجدان متقطع.
- إلى غير ذلك من التصنيفات.

أثر الوجدان في حياة الناس: على الرغم من أن الوجدان يصنف تصنيفات متعددة، إلا أن ما جذب اهتمام الباحثين هو تصنيفه إلى موجب وسالب. وقد درس الباحثون اثر الوجدان السالب (القلق، الاكتئاب، العدوان) في حياة الأفراد دراسات مستفيضة. وإن التراث الأدبي لهذا الموضوع يزخر بالكثير من الأفكار والآراء التي تشير إلى للوجدان السالب تأثيرا سلبيا واضحاً في الحياة الصحية والنفسية والعقلية للأفراد. كما أن تأثيره واضح أيضا في الأداء إذ أنه يعمل على تعطيله (Boon and

Peeters, 1999; Carver, et al. 1999; Ritterband and Spielberger, (2001).

أما الوجدان الموجب (السعادة، الفرح، الإثارة، الحماس، الرضا) فقد سلب عليه الكثير من الضوء في السنوات الأخيرة. فقد تبين أن للوجدان الموجب أثرًا طيبًا في النواحي البدنية والنفسية للأفراد والأداء أيضًا. ففي النواحي البدنية، فهو يعمل على زيادة الصحة البدنية من خلال تقوية جهاز المناعة، والتعافي السريع من الأمراض البدنية، والشفاء السريع من العمليات الجراحية وخاصة التي تجري للقلب.

وفي النواحي النفسية، فهو يعمل على زيادة القدرات العقلية (المرونة، الشمول، الإبداع، سعة المعلومات، وفاعلية الأداء الذهني)، والقدرة على الانتباه، والصحة النفسية.

وفي نواحي الأداء، فهو يعمل على زيادة الإنتاج (التغيب، سلوك المواطننة، القيادة، المفاوضات،)، وتطوير العلاقات بين الأفراد في العمل، وخفض نسب التغيب والتأخر عن العمل (Fredrickson, 1998; Fredrickson , et al. 2000;) (Danner, et al. 2001; Stuber, et al 2007).

المراحل التي مرت بها دراسة الوجدان: مرت الدراسة العلمية للوجدان في علم النفس بثلاثة مراحل هي:

- مرحلة السنوات الذهبية للوجدان (1879م ◀ إلى 1913م).
- مرحلة السنوات العجاف للوجدان (1913م ◀ إلى 1960م).
- مرحلة عودة الحياة إلى الوجدان (1960م ◀ يومنا هذا).

العصر الذهبي للوجدان: سمي العصر الذهبي للوجدان لازدهار البحث العلمي في الموضوع، الذي تجلي في نشر كتب ودراسات كثيرة في المجلات والمؤتمرات العلمية

Lyall, 1855; Bain, 1859; McCosh, 1880; Bell, 1824; Cooke, 1838; James, 1884; Baldwin, 1891; Ellis, 1895; هيربرت سبنسر (1820-1903) التي ترى أن العواطف والمشاعر لا تكون فقط نتاج الخبرة ولكن أيضا نتيجة الوراثة. وأن للعواطف والمشاعر علاقته قوية بالجسم (Spencer, 1873). ونظرية تشارلز داروين (1809-1882) الذي يعتقد أنه في عصور ما قبل التاريخ وقبل استخدام الكلمات كان التواصل بين الناس معتمدا على تعبيرات الوجه التي يمكن أن تنقل الرسائل الوجدانية الهامة كالتهديد، والفرح، والحزن والغضب، وما إلى ذلك. كما يعتقد أن العواطف الأساسية التي تظهرها تعبيرات الوجه هي لغة عالمية بين جميع البشر بغض النظر عن وضعهم الثقافي (Darwin, 1872). ونظرية ويليام جيمس (1842-1910) التي يعتقد جيمس فيها أن المشاعر والعواطف مظاهر ثانوية للظواهر الفيزيولوجية. وهو يرى أن المثير المعين الذي يثير الوجدان، يؤدي مباشرة إلى الاستجابة الفسيولوجية التي تُعرف باسم العاطفة. (James, 1884). واكتشاف حقائق علمية ثمينة كمعرفة موقع العاطفة في الدماغ.

كما توسع الاهتمام بالموضوع. فقد بحث فيه علماء النفس، وعلماء الفيزيولوجيا، وعلماء الأعصاب،،، وشهد اكتشافات كبيرة مثل موقع العاطفة في الدماغ.

للأسف، لم يدم العصر الذهبي طويلا. وسرعان ما تجمد الموضوع. وقد يكون السبب الرئيس في انحسار البحث في موضوع الوجدان هو عزوف الباحثين عنه بسبب انتشار الفكر الوضعي والمدرسة السلوكية وسيطرتهما على علم النفس في العقود الأولى للقرن العشرين.

المدرسة السلوكية: ظهرت المدرسة السلوكية بعد الانتشار الواسع لمدارس علم النفس التي سبقتها، ومن أهمها: المدرسة البنائية ومؤسسها إدوارد تيتشر (في حدود

1879م)، والمدرسة الوظيفية ومؤسسها ويليام جيمس (بعد البنائية)، والمدرسة التحليلية التي أنشأها سغمونود فرويد (بعد الوظيفية).
الجدور الفلسفية للمدرسة السلوكية: تمتد جذور المدرسة السلوكية إلى الفلسفة الوضعية (Positivism) التي تؤمن بمبادئ منها:

- أن الحقيقة يمكن إدراكها إدراكا يقينيا مطلقا.
- أن الحقيقة يمكن تجزئتها إلى أجزاء تدرس مستقلة عن بعضها.
- أن الباحث منفصل عما يقوم بدراسته.

والعلم في رأي الفلسفة الوضعية لا يتم الوصول إليه إلا من خلال الحواس.
المدرسة السلوكية: نادى المدرسة السلوكية بدراسة السلوك المحض. أما النواحي غير الملموسة والتي لا يمكن قياسها مثل الأفكار والعواطف والشعور والخبرات التي يختبرها الإنسان في المواقف المختلفة، فلا صلة لها بعلم النفس. والإعتقاد أنها موجودة عبارة عن أوهام وخرافات. لهذا، يمكن القول أن المدرسة السلوكية تنظر إلى الإنسان على أنه آلة ميكانيكية تحركه مثيرات فيزيقية تصدر عنها استجابات عضلية وغدية.

انتقد جون واطسن (1878- 1958) مؤسس المدرسة السلوكية مدرستي علم النفس البنيوية والوظيفية قائلا "إن كان على علم النفس أن يكون علما صحيحا ومستقلا، لا يجب أن تتم دراسة ما لا يمكن رؤيته أو لمسه وما كان افتراضيا كالعقل والوجدان، وذلك لأنها مجرد افتراضات لا يمكن إثباتها علميا"، ونادى بدراسة السلوك الظاهر للإنسان (Watson, 2013). كما اعتقد

برهوس سكينر (Burrhus Skinner) أن علم النفس يجب أن يقتصر على ما يرى ويقاس (psychology must restrict itself to what it can see and what can be)
(Skinner, 1989) (manipulated and measured in the laboratory).

الوجدان لدى المدرسة السلوكية: يرى السلوكيون أن الوجدان عبارة عن استجابات اكتسبت بالمران والتربية. ولا يمكن أن يكون إلا شكلا من أشكال المكوّن البدني سالف الذكر. وإن عواطف مثل "الخوف" و"الغضب" لا تشير إلا إلى التغيرات الجسدية البحتة. وبصورة أوضح، فإن "الخوف" معادل للتغيرات في مقدار العرق المتصّبب استجابة لصدمة كهربائية. وإن "الغضب" يعادل عدد الهجمات التي يقوم بها كائن وضع في قفص ما.

ماذا كانت النتيجة؟: في حوالي نصف قرن من الزمان (1910م- 1690م)، لم ينشر اي شيء جدير بالاهتمام حول العواطف ولواحقها كالوجدان والمزاج. وكيف نصف هذه النتيجة؟ لا شك أنها تأخر علمي.

الميلاد الجديد للوجدان: عاد الوجدان إلى علم النفس من جديد بتأثير عدد من العوامل أهمها:

• ظهور المدرسة المعرفية: ظهرت المدرسة المعرفية في خمسينات القرن المنصرم كرد فعل للمدرستين السلوكية والتحليلية. وهي تسعى إلى معرفة العقل الانساني وفهمه وما يدور فيه. لقد كان للأبحاث التي قام بها جان بياجيه في سويسرا (1904- 1980) (Piaget, 1936)، ونعوم تشومسكي في أمريكا (1928- ؟) (Chomsky, 1959) دور كبير في تطوير الدراسات المعرفية.

• ظهور المدرسة الإنسانية: ظهرت المدرسة الانسانية في خمسينات القرن المنصرم كرد فعل للمدرستين السلوكية والتحليلية. وقد سمت نفسها "القوة الثالثة". وهي تؤكد على الطبيعة الخيرة للإنسان. كما تؤكد على حرية إرادته، وسعيه المستمر نحو تحقيق ذاته. ومن أبرز روادها كارل روجرز (1902- 1987) (Rogers, 1951)، وابراهام ماسلاو (1908- 1970) (Maslow, 1970).

• ظهور المدرسة الدينية: ظهرت المدرسة الدينية في ثمانينات القرن المنصرم لتعيد للإنسان ما رأت بأن المدارس التي سبقتها لم تكن قادرة على رده له وهو الاعتبار الروحية. لقد تبين لرواد هذه المدرسة أن المدارس التي سبقتها فشلت في أخذ هذا الجانب (الجانب الروحي) بعين الاعتبار على الرغم من دوره في بناء الشخصية المتكاملة والمتوازنة والمتوافقة أيضا. ومن أنصارها كارل يونغ (-1842 (1896) (Jung, 1968)، وجيمس فولر (?-1940) (Fowler, 1981).

ماذا استعاد الإنسان؟: استعاد الإنسان مقومات إنسانيته، وهي العقل والوجدان والروح. وقد أصبحت صورة الإنسان في علم النفس الحديث قريبة جدا من الصورة الكاملة. علاوة على ذلك، فإن الباحثين يصفون العقود الأخيرة في علم النفس بأنها عقود الوجدان (Bargh, & Ferguson, 2000; Clough, 2007; Seigworth & Gregg, 2010). وهي توصف كذلك بوفرة التراث الأدبي للموضوع. وقد تجلى هذا التراث في الكتب، والمجلات، والأطروحات العلمية، والمؤتمرات،،، الخاتمة: بعد غياب طويل عن علم النفس، عاد الوجدان من جديد إلى الساحة النفسية تدريسا وممارسة وبحثا. وعلى الرغم من الفرح بعودته، فإن الأسف على ما حدث في السنوات العجاف، لم يغادر مخيلة الباحثين والمهتمين بعلم النفس. وإن العمل جار الآن على قدم وساق لتعزيد البحث في مجال الوجدان، ولتخلص من آثار تلك السنوات. ومن الضروري الإشارة في نهاية هذه الورقة إلى أن علم النفس لم يشهد عودة الوجدان إلى ساحته فقط، ولكن أيضا العقل من قبله والروح من بعده. وعلى العموم، فإن النظرة إلى الإنسان أصبحت كاملة أو شبه كاملة مقارنة بما كان عليه الحال في الخمسين سنة الماضية.

المراجع:

1. Bain, A. (1859). *The emotions and the will*. London, UK: Parker.
2. Baldwin, J. M. (1891). *Handbook of psychology I: The senses and the intellect; II: Feeling and will*. London, UK: Macmillan.
3. Bargh, J. A., & Ferguson, M. J. (2000). Beyond behaviorism: On the automaticity of higher mental processes. *Psychological Bulletin*, 126, 925-945.
4. Batson, C.D., Shaw, L.L., & Oleson, K.C. (1992). Differentiating affect, mood, and emotion: Toward functionally based conceptual distinctions. In M.S. Clark (Ed.), *Review of personality and social psychology* (Vol. 13, pp. 294-326). Newbury Park, CA: Sage.
5. Bell, C. (1824). *Essays on the anatomy and philosophy of expression* (2nd ed.). London, UK: Murray.
6. Boon, M.T., Peeters, E.P. (1999). Dimensions of affectivity in depression and anxiety (Dutch). *Tijdschrift Voor Psychiatrie*, 41(2), 109-113.
7. Carver, C.S., Lawrence, J.W., & Scheier, M.F. (1999). Self-discrepancies and affect: Incorporating the role of feared selves. *Personality & Social Psychology Bulletin*, 25(7), 783-792.
8. Chomsky, N. (1959). A review of B. F. Skinner's *Verbal behavior*. *Language*, 35, 26-58.
9. Clough, P.T. (2007). Introduction. In P.T. Clough and J. Halley: *The Affective Turn: Theorizing the Social*, (pp. 02-33). Durham @ London: Duke University Press.
10. Cooke, W. (1838). *Mind and the emotions, considered in relation to health and disease*. London, UK: Longman.
11. Banner, D. D., Snowden, D. A., & Friesen, W. V. (2001). Positive emotions in early life and longevity: findings from the nun study. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80, 804-813.
12. Darwin, C. (1872). *The expression of the emotions in man and animals*. London: Appleton; Chicago: University of Chicago Press.
13. Ellis, H. (1895). The psychology of emotion. *Journal of Mental Science*, 41, 159-162.
14. Ellis, H. (1895). The psychology of emotion. *Journal of Mental Science*, 41, 159-162.

15. Eysenck, H. (1947). Dimensions of personality. London: Routledge & Kegan Paul.
- Fowler, J. W. (1981). Stages of Faith: The Psychology of Human Development and the Quest for Meaning. New York: Harper & Row.
16. Fowler, J.W. (1981). Stages of faith: The psychology of Human Development and the quest for meaning. San Francisco: Harper & Row.
17. Fredrickson, B. L. (1998). What good are positive emotions? Review of General Psychology, 2, 300–319.
18. Fredrickson, B. L., Mancuso, R. A., Branigan, C., & Tugade, M. M. (2000). The undoing effect of positive emotions. Motivation and Emotion, 24, 237–258.
19. Huitt, W. (2012). A systems approach to the study of human behavior. Educational Psychology Interactive. Valdosta, GA: Valdosta State University. Retrieved [06/ 05/ 2018] from <http://www.edpsycinteractive.org/materials/sysmdlo.html>
20. James, W. (1884). What is an emotion? Mind, 9, 188–205.
21. Jung, C. G. (1968). Analytical psychology: Its theory and practice - The Tavistock lectures. New York, NY: Pantheon Books.
22. Lyall, W. (1855). Intellect, the emotions, and the moral nature. Edinburgh, UK: Thomas Constable.
23. Maslow, A. H. (1970). Motivation and Personality. New York: Harper & Row, Publishers.
24. McCosh, J. (1880). The emotions. London, UK: Macmillan.
25. Piaget, J. (1936). Origins of intelligence in the child. London: Routledge & Kegan Paul.
26. Ritterband, L.M., & Spielberger, C.D. (2001). Depression in a Cancer Patient Population. Journal of Clinical Psychology in Medical Settings, 8(2), 85–93.
27. Rogers, C. R. (1951). Client-centered therapy. Boston: Houghton Mifflin Company.
28. Seigworth G.J. and Gregg, M. (2010). An Inventory of Shimmers. In The Affect Theory Reader, ed. G.J. Seigworth and M. Gregg (Eds.). (pp.01-28). Durham & London: Duke University Press.
29. Skinner, B. F. (1989). The origins of cognitive thought. American Psychologist, 44, 13-18.
30. Spencer, H. (1873). The Principles of Psychology. New York: Appleton and Company.

31. Stuber, M., Hilber, S.D., Mintzer, L.L., Castaneda, M., Glover, D., & Zeltzer, L. (2007). Laughter, humor, and pain perception in children: A pilot study. *Evidence-Based Complementary and Alternative Medicine*, 6, 271–276.
32. Watson, J. B. (1913). Psychology as the behaviorist views it. *Psychological Review*, 20, 158-177.
33. William, J. (1884). What Is an Emotion? *Mind*, 9 (34), 188–205.